شعراء... ودبلوماسيون..

قبل ست سنوات، بقدر ما تسعفني الذاكرة، كتبت في "الاتحاد" مقالا تحت عنوان "شعراء لا دبلوماسيون " ناقشت فيه فكرة اسهام الشعراء في العمل السياسي اليومي واعلنت رفضها بنزق وحماس شديدين .. ومنذ ذلك الوقت اوصلتني التجارب الى عكس ما ذهبت اليه آنذاك، واصبح واضحا لي ان الشاعر الملتزم، لا سيما العربي الذي يعيش في "اسرائيل" بالذات، لا يستطيع صرف النظر عما يدور من حوله، ولصق جلده واعصابه، وبالتالي، فانه لا يستطيع الا ان يكون شاعرا و"دبلوماسيا" في الوقت نفسه .. يكتب قصيدته، ويخرج الى خصومه مدافعا عن كلمته، داعيا لما ترفعه من مضمون، ومؤرثا ما تختزنه من حرارة.. باختصار: لا تستطيع ان تقول كلمتك وتمشي.. ينبغي ان تصحبها الى حيث تطمئن الى انها لم تكن بذرة على صخرة..

بدءا من هنا، ادركنا أهمية اللقاءات والندوات التي تعقد من حين لآخر بين الادباء والمفكرين العرب وزملائهم اليهود.. بتعبير آخر، عرفنا اهمية "الدبلوماسية الادبية"!

بعد نكبة ١٩٤٨ لم ينتهج حكام اسرائيل سياسة الجسور المفتوحة، كانت لديهم آنذاك سياسة البحر المفتوح باتجاه واحد .. لكنهم سواء في النكبة او النكسة انتظروا اللحظة المناسبة لاسدال الستار الحديدي بين العرب المقيمين وراء الدبابات والعرب المقيمين في مواجهتها .. وفي الوقت نفسه سدلوا ستارا جديدا آخر بين العرب المقيمين وجيرانهم اليهود، بينما راحت ابواقهم وصحفهم تحقن جماهير اليهود بسموم العنصرية والعسكرية، باذلين أقصى جهودهم لمنع بقية شعبنا في الوطن من اجراء حوار متكافيء ومنطقي مع السكان اليهود، ولعلهم ارادوا بذلك الحؤول دون امكانية ابطال مفعول التحريض الصهيوني، وجلوة الحقيقة بكل تفاصيلها التاريخية والانسانية والسياسية .. ومن هنا، فاننا لا نعجب من الهجمات العنيفة التي يشنها غلاة المتطرفين الصهيونيين على لقاءات معينة ومحدودة مع الجمهور اليهودي .. ولا ندهش للتهديد بالقتل الذي سمعناه أكثر من مرة في ندوات تل ابيب وحيفا وغيرهما ..

لا نزعم اننا نجحنا في نسف الستارين الحديديين، لكننا فتحنا اكثر من ثغرة، حركنا أكثر من ضمير، أثرنا اكثر من دماغ، وجندنا اكثر من قلم ..

في الوقت نفسه تواصل أجهزة الاعلام الرسمية التشويش علينا وتزييف مواقفنا. وعلى سبيل المثال، منذ اسابيع جرى نقاش بيني وبين ايسر هرئيل رئيس الشين بيت السابق، في ندوة محرري الصحف، في تل ابيب، تلك الندوة التي تطبخ فيها سياسة الاعلام. وبهدف احراجي، سألني: ما هو موقفك من القاء القنبلة على سيارة

فولكسفاجن في غزة وقتل ولدين يهوديين؟ قلت له: غزة مدينة محتلة وليست مدينة سياحية. اخرجوا من غزة ولن يقتل فيها اي ولد يهودي او عربي، الاحتلال هو المسؤول ..

بعد أيام جرى نقاش بيني وبين روت ديان، رئيسة منظمة جديدة تدعى "حلف ابناء سام" -وهي بالمناسبة، زوجة وزير الدفاع- وفجأة قذفتني بقولها: "انت اعلنت في تل ابيب تأييدك لقتل الاولاد اليهود!"

وهكذا، فانهم، فوق انظمة الطوارىء المفروضة علينا لتجميد نشاطاتنا وتقييد حرياتنا يعملون على تشويه مواقفنا وتزييف اقوالنا .. لكننا لن نقول كلمتنا ونمشي .. سنسير معها حتى تستقر حيث نريد ..

حين احسوا بأهمية لقاءاتنا هذه، سعوا الى ضربنا من الداخل.. وذلك بمحاولة "الموازنة" في تركيب الوفود العربية الى هذه اللقاءات .. "والموازنة" -في نظرهم- تعني دس بعض الكتّاب والشعراء العرب العاملين في المؤسسات الحكومية او الذين لا تسمح لهم ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية باعلان آرائهم جهارا، في صفوف المناقشين العرب لخلق البلبلة بينهم امام الجمهور اليهودي .. لكن هذه المحاولة منيت بفشل ذريع، فحتى هؤلاء الذين ظنوهم في الجيب، تكلموا بجرأة كبيرة ولعلهم كانوا اكثر "قسوة" منا في اكثر من مناسبة!

مرة اخرى "شعراء ودبلوماسيون".. ننقل للشعب الآخر هموم

شعبنا وتشوفاته .. ونعود الى مناطقنا المغلقة عبر الستار الحديدي الفظ لنحدث شعبنا بما يقوله الآخرون ..

قد تبدو هذه المهمة سهلة على السطح، بيد انها في حقيقتها شاقة مرهقة، تتطلب منك احيانا ان تضع اعصابك في ثلاجة، وقد تضطر احيانا الى اغلاق الغرفة عليك، لتصرخ وتصرخ .. حتى لا تجن!

«الجديد» ١٩٧١